النهار ١٧ ت٢ ١٩٧٩

حجر ألفرد بصبوص يهجس يتكرّر علامات استفهام ضميرية

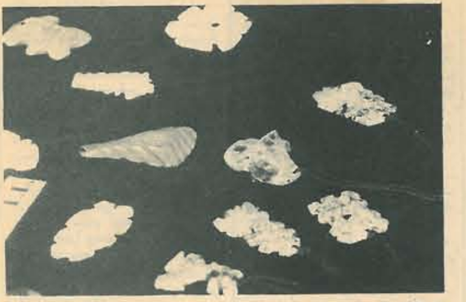

الفرد بصبوص، مجموعة من اعماله.

من القلائد الحجرية.

(هاروت خيرجيان)

سهل الكلام على النحات ألفرد بصوص. كأن كل الكلام يصح عليه. او كأنه في متناول اي كلام. والى ذلك تحشى الاقتراب منه. كمن يحاذر شركاً وراء سهولة فيها الكثير من السهولات. او كمن يتجنب السقوط بدوره في هذه السهولة عن بصبوص وفيه قائلة كل الاشياء دون قول اشياء بصبوص.

ألفرد بصبوص هكذا منذ اول معارضه في ١٩٥٩، علامة استفهام كبيرة: كبيرة بقدر ما هي تبدو بسيطة: في حركتنا النحتية. خرج يومئذ من ورك محترف أخيه ميشال بهدوء من لا علاقة له بالاخرين. عرض :حجاراً ململمة من حقول راشانا، ململمة ثم مضروبة بازميل خجول محتشم بغية اعطائها صورة قريبة من صورتها البدائية: صورة تقترب من ملامح مألوفة في غابة الحيوانات، والى ذلك مشغولة قليلا لكي لا تبقى على بدائيتها، لكي ترتفع قليلا الى حيث مواصفات العمل الفني.

واليوم، بعد طريق طويل، نلتقيه مجدداً كأنه لم يغادر ذاته. وأمامه الحجر ذاته يعمل فيه وعليه وراء جواب عن تصور لصورة. لصورة تغرف ملامحها من واقع جمالي ثقافي يحترف الابتعاد عن لغة الايام الرمادية وواقعها المطعون بالحرب. حتى لتظنه احياناً من بقاع غريبة. من ارض الاراضي العاطفية حيث الاناقة قاعدة والجمال طقس والطراوة طريق والليونة اسلوب. فتجد نفسك امام اعماله الجديدة كمن يقف امام علامة استفهام مألوفة لديك عند كل لقاء مع منحوتات ألفرد بصبوص.

ماذا يريد من الحجر الفرد بصبوص؟ وكأن الحجر يختصر لبصبوص عنف الحياة في جماد مادته. لماذا الترويض للحجر تحت شعار الاناقة؟ وهذا التحكم فيه تحت شعار الزخرفة؟ وهذا الوصول به الى ابجدية صور موزعة من جسد امرأة فيه نكهة التجريد الى تشكيل تجريدي فيه نكهة وجه الانسان؟ والى ذلك نرى ألفرد بصبوص لا يكتفي بالاناقة، ولا يكتب فقط الزخرفة، ولا يخط فقط صياغات الاغراء، بل نشعر به يلاحق هاجساً فيه يسكنه منذ البدايات: هاجساً مثل الخوف والموت والضمير، هاجساً يتكرر علامات استفهام.

قد يكون الشعر هو الجواب عن هذه العلامات الاستفهام. وقد تكون منحوتات ألفرد بصبوص قصائد بالحجر والخشب وعلى علاقة عضوية بحركة الشعر الحديث. قصائد تثير "عين" من يقف امامها يسائلها مطالباً اياها باكثر من مجانية الشكل التي تطل به عند اول نظرة. وهي تجيب لمن يعرف قراءة التشاكيل النحتية كما تجيب القصيدة قارىء اللغة الحديثة.

تدرجاً تدخل الى حجر ألفرد بصبوص، تدخل اليه بنسبة ما الحجر يتململ في عينك، او بنسبة ما تغوص عينك في قماشة الحجر. وهل من فن اذا غابت الموهبة عن المفترج؟ هو وحده يحرك مايراه، كأنه يقوم بدوره ولنفسه بعمل الفنان على الحجر. فالفرد بصبوص ينمو، عند هذا المستوى، في "عين" كل منا. وقد نمر امامه رحالة عابرين او زواراً محتشمين غير اننا اذا اردنا عرف ما فيه علينا ان نتعلم معه لغة الحجر عندما يعلن الحب على الحياة.

اعمال الفرد بصبوص حالياً في صالة دامو، انطلياس، من نوع المنمنمات العاطفية منمنمات بالحجر تسائل زوارها عن الحب في زمن الحقد. قد يكون الحقد غائباً عن مضمونها، وقد تكون الحرب مجهولة في مواضيعها وقد تكون بشاعة الايام الرمادية غريبة عن أشكالها، الا أنها من حولها، تحيط بها، تهددها في استمرار: كأن الحرب حرب عليها: على ما تمثله من فعل ايمان بانسان يبحث عن الجمال في عالم اخذ يبدو اكثر فاكثر كأنه فقد أحلامه ورغباته والى حد بعيد ضميره.

ولذا تبدو اعمال الفرد بصبوص فعلا اتهامياً لكل ما يحيط بها من بشاعة. فاذا هي تحترف الاناقة الزخرفية فلكون ما يضرب ضمير نحاتها دمار الضمير. حتى ليخيل اليك انها الملجأ الاخير يدخله الفرد بصبوص هروباً من أمر حوله. يكتب الجمال في الحجر لمتانة الحجر. ويكتب الحب في الحجر لذوبان الحب في اجساد الناس. ويكتب الحياة في الحجر لكي تدوم الحياة في بقاع الحرب التي لا تنتهي من الانتهاء.

هذا وجه من ألفرد بصبوص وليس هذا كل الفرد بصبوص. كما ان فنه وجه من فنون لبنان الحرب. ذلك ان لدى الفرد بصبوص علاقة متميزة بصقل الحجر ولدت فيه لكونه ولد في راشانا، البترون، اي في بيئة مشهورة بنحاتي الحجارة المعماريد (المعمرجية). من هنا هذه الطراوة في تشكيل الحجر والخشب حتى لتظن منحوتاته من مادة ناعمة لينة سلسلة كأنها من غير الحجر. من طين مسكون بنبرة موسيقية تتنفس على أيقاع الرغبات المتململة في "العين".

اي ان ألفرد بصبوص وارث تقليد في صياغة الحجر. الى انه من محترف فني (محترف راشانا) يجمعه وأخويه ميشال وجورف ضمن اطار اختباري متقدم في التشكيل النحتي. حتى يصعب فهم ألفرد بصبوص خارج علاقاته هذه. فنه من مهارة صياغة الحجر بنسبة ما هو من الاجواء التجريبية المهيمنة على محترف الاخوة بصبوص. الى جانب أن فن الفرد بصبوص يسلك طريق البحث عن التعابير الحميمة النابعة في استمرار من ذوبان انفعالي بين عواطف القلب وتجاوب اليد معها. وبذلك يتفرد بين الاخوة. يتفرد بالغوص الى اعماق ضميره. الى حيث لقاء الذات. الى حيث يتنهد الحجر، لتنتصر الحياة.

نزيه خاطر

(★) ألفرد بصبوص. غاليري دامو. انطلياس. تلفون ٤١٤٠٦١، ٣٥ منحوتة بالحجر والخشب. مجموعة من القلائد المنحوتة في الحجر.